Obstacles in the Way of Islamic Literature
(العقبات في طريق الأدب الإسلامي)

Noorullah Saeed
Assistant Professor Department of Arabic language,
Paktia University, Poli-Alam, Logar, Afghanistan
Corresponding Author: noorullahsaeed90@gmail.com

DOI: 10.52984/ijomrc1405

المقدمة

أما بعد فكما تعلمون ، نحن كمسلمين نعيش في حالة الغزو ماديّا و فكريا ، و اشتدت غزوة الثقافية و الفكرية عند ما أُشتهر مصطلح الأدب الإسلامي في القرن العشرين ، و دافع عن الإسلام و نظريته و عن المسلمين و مجتمعهم و تعقّب كلَّ من هو ضد التصور الإسلامي و الرافضين له ، و يحاول الرافضون أن يسيطروا عليه ، فسِهامهم متّجهة إلي هذه التجربة الإسلامية الفنية في كل زمان ، حتي من قِبل الأدباء المسلمين الذين تأثروا بحضارة غربية ، و لكنها ناجحة ضد هؤلاء إن شاء الله تعالى .

و لما ذا لا يهاجموننا بعد أن أخذنا زمام معركة فكرية كما هو حقه ، لأن جانب الفكري للأدب أقوي من جانبه الفني ، كما قاله الدكتور وليد قصاب في كتابه (المذاهب الأدبية الغربية) .

لأجل هذا أمام الأدب الإسلامي تعقيبات و تحديات و بعض الشبهات الواردة علي الأدب الإسلامي ، أذكرها باختصار .

الشبهة الأولى :

إسلاميا و لو كتب باللغة العربية ، فبينهما عموم و خصوص من وجه ، ممكن أن يكون الأدب الإسلامي أدبا عربيا ، و ممكن أن لا يكون عربيا بل بلغة أخري، و لكن مادام منبثّق من التصور الإسلامي يكون أدبا إسلاميا كالمكتوب بلغة الأردية أو الفارسية ، و هكذا يمكن أن يكون أدبا عربيا و لا يكون إسلاميا ، عندما خالف التصور الإسلامي ، كالأدب الوجودي و غيره . إذًا لا يلغي الأدب الإسلامي الأدبَ العربي مطلقا و إنما يلغي ما هو مضاد للتصور الإسلامي .

الشبهة الثالثة :

عندما نصنف و نقسم الأدباء المسلمين، ، بناء علي مصطلح الأدب الإسلامي فإننا سنقول هذا أديب إسلامي وهذا أديب غير إسلامي، فإذا كان الأديب ليس في دائرة التصور الإسلامي فهو أديب غير إسلامي ، وهذا يجرنا إلي تكفير المسلم ، و نحن منهيون شرعا أن نكفّر مسلما .

الردّ عليها : إن مصطلح الأدب الإسلامي لا يكفّر أحدا و لا هو سببٌ لتكفير أحد ، ولا يكفّر الناقد الإسلامي أديبا غير إسلامي بسبب أنه جاء بتصورٍ غيرِ إسلامي ، و يُري هذا في كتب الإسلاميين وهي مطروحة بين يدى الناس .

و لكن القاعدة في تصنيفهم و تقسيمهم هي التصور الإسلامي ، فما انبثق عن التصور الإسلامي فهو أدب إسلامي، وما وافقه فهو أدب موافق للأدب الإسلامي ، و ما خالفه فهو أدب غير إسلامي،فالحكم عليهم علي هذا الأساس،إذ لا يمكن أن نقول للأديب الذي يخالف التصورَ الإسلامي تصوراتُه ، بأنه أديب إسلامي كما لا يمكن أن نسمي أدبه أدبا إسلاميا .

فإذا وُجد التصور الإسلامي في الشاعر و الأديب يُعدّ شاعرا و أديبا إسلاميا ، و لا يُنظر إلي بعض أخطائه ،

وعندما لا يوجد فيه التصور الإسلامي فلا يعدّ أديبا إسلاميا و لو وافق بعضُ انتاجاته للتصور الإسلامي .

كأبي نواس الشاعر العباسي يصف الخمر يقول :

إن الأدب الإسلامي بدعة معاصرة لم يقل بها أحد من سلف هذه الأمة ، فهل نحن أحرص على الإسلام من أولئك؟

الرد عليها : إن الجديد في الأدب الإسلامي ، إنما هو المصطلح فقط ، و استحداث المصطلح لا يستلزم استحداث الموضوع ، لأننا نجد كثيرا من العلوم و المذاهب مستحدثة باعتبار المصطلح ، و باعتبار مضمونها ليست مستحدثة ، بل إنما هي من أهم ضروريات الدين ، و مضمون الأدب الإسلامي من هذا القبيل ، لأنه ثابت منذُ طلوع فجر الإسلام ، و كتاب الله أكبر مصادره ، كما قال الأستاذ محمد قطب في كتابه منهج الفني الإسلامي ص : ١٤ " لم يجد الإسلام تعبيرَه الفني الكامل في غير القرآن " و هكذا رواه أحمد في مسنده أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : " الشعر كالكلام حسنه كحسنه و قبيحه كقبيحه " فالأدب الإسلامي معبرٌ عن هذا التصور الإسلامي فلا ينطبق عليه معني البدعة المذمومة .

الشبهة الثانية :

يقولون: يوجد لدينا الأدب العربي فلسنا بحاجة إلى تسمية جديدة و إلي أدب جديد و هو الأدب الإسلامي و إلا فنحن نلغي الأدب العربي .

الرد عليها من قبل الإسلاميين :

أولاً : إننا لا نلغي الأدب العربي مطلقا ، و ما قال بإلغائه واحد من كتّاب الأدب الإسلامي .

ثانيا : إن الأدب الإسلامي هو تعبير فني هادف عن الكون و الإنسان وحياته و عن المجتمع ، وفق التصور الإسلامي ، أي الأدب الذي يوافق الشريعة فهو أدب إسلامي ولو كُتب بلغة غير عربية و الذي لا يوافقه فهو ليس أدبا

بد له الحرية من كل القيود و إلا لا يقبل في ميدان الأدب .

الرد عليها : نعم يوجد الالتزام في الأدب الإسلامي و لكنه تنظيم و ليس تضييفا كما هو زعمهم ، والالتزام عبارة عن إنتاجِ أديبٍ وفق تصوره و عقيدته ، و حاصله في التصور الإسلامي ، أنه طاعة ، نحن كمسلمين نلتزم كلَّ ما كُلّفنا به ، ولا نتجاوز عن حدود الله لا في الأدب ولا في غيره، أما جانب الفني و الإبداع في الأدب الإسلامي ، فله أفق واسع ، كما توحي إليه عدة نصوص كما في قوله تعالى: " و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين " و في الحديث القدسي " أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت و لا خطر علي قلب بشر " (البخاري)

فهذه النصوص ترشدنا المسير إلي التصور والفكر و الخيال ما لا حدود له ، فللأدب الإسلامي ميادينُ كثيرة،ما لا تملكه المذاهب المنحرفة، يعبّر عنها تعبيرا جميلا مؤثرا، وكم من انتجات الشعر و النثر نجدها في كُتب نقاد الإسلاميين .

أما الحرية فلا يرفُضها الأدب الإسلامي مطلقا ، بل الإسلام عدّها من أهم الحقوق للإنسان كما في قول عمر رضي الله: " متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " فالحرية دين و فطرة ، و لكن الحرية التي تقدمها المذاهبُ المنحرفةُ ، فليست في الحقيقة حرية ، و إنما هي حصر و قيد ، لأن الإنسان يصير فيها عبدُ الشهوة و طامع المال و السلطة ، فهو عبد هذه الصفات المذمومة ، و ليس حرًا .

و الحرية إنما هي أن يتحرر الإنسان من كل هذه الصفات المذمومة .

العقبات

و من العقبات في طريق الأدب الإسلامي أفكار مذهب الكلاسيكية التي تعبّر عن العقائد الوثنيّة التي صدرت عنها من حيث تعدد الإله ، و تقليد القدماء و لو كان شرا ، و إنكارها من التجديد كلها ، و السيطرة للعقل ، فله رتبة عالية فيها . و التصور الإسلامي يقدم لنا التوحيد و يُبعدنا كل البعد عن الشرك و تعدد الإله ، ولا يقلد القديم دوما ، بل يجدّد ، و يُحدِث ، ويأخذ عن القديم و الجديد ما يري فيه الخيرَ و الجمالَ وفق ضوابط الشرع ،فالتصور الإسلامي لا يعادي الجديد و لا يتعصب القديم .

و من قبل الواقعية إهدار كرامة الإنسان ، فصوّرته حيَوانا ضارا أو ذئبا بشريا ، كما قال هوبز : " إن الإنسان للإنسان ذئب ضار .... (المذاهب الأدبية الغربية).

و تري كل شيئ بمنظار الشر فتقول : ما من خير إلا و هو في الحقيقة شرٌ ، لأن الشر عنصر أصيل في الحياة عندها ، فالشجاعة و الاستهانة بالموت لو فتشنا عن حقيقتهما لو جدنا يأسا من الحياة ، أو ضرورة لا مفرّ منها .

و الإسلام يرفضه كله، لأن الإنسان مكرم في الإسلام قال تعالى: "و لقد كرمنا بني آدم" و لأن الحياة لو كانت شرا كلها لما تفاضل الناس ، و لما كان ابتلاء ، و لما كانت جنة و نار ، وثواب و عقاب ، وكيف يُتصوّر أن يخلق الله شرا فقط .

فالإنسان محترم و خير ، ما دام علي الفطرة و علي التصور الإسلامي ، و شيطان عند ما زاغ عن مسيره المستقيم .

دع المساجد للعباد تسكنها --- وطف بنا حول خمار ليسقينا

ما قال ربك ويل للذين سكروا --- و لكن قال ويل للمصلينا

و في أخر عمره تاب و قال :

إلهي لستُ للفردوس أهلا --- ولا أقوي علي النار الجحيم

فهب لي توبة واغفر ذنوبي --- فإنك غافر الذنب العظيم

الشبهة الرابعة:

إن الأدب الإسلامي يدعو إلي التفرقة و الاختلاف بين الثقافة العالمية ، ونحن نعيش عصر النظام العالمي الجديد الذي ينادي بثقافة عالمية موحدة ، ولكن دعاة الأدب الإسلامي قد فرقوا شمل الأمة و جعلوا في الأدب أحزابا و شيوعا .

الرد عليها : الأدب الإسلامي الذي يمثل عقيدة الأمة و ينادي باجتماعٍ تحت مظلّة الإسلام و إلي محجة بيضاء ليلها كنهارها ، هل هو يفرقها أحزابا؟ أم هذه المذاهب الأدبية الغربية الجديدة التي لا جذور لها ، لا من حيث الدين و لا من حيث العقل ، و صارت شيوعا و أحزابا ، و جاءت بأفكار لا علاقة لها من بعيد مع الإسلام ، فلا بد من المدافعة عنها ، و الدفاع عنها لا يُتصوّر إلا بعد تصنيف هذا الأمر ، و هذا التقسيم يوجد في القرآن و السنة و في أقوال السلف ، كتقسيم الكلمة إلي الطيبة و الخبيثة ، و تقسيم الشعراء إلي الغاوين و المؤمنين ، و لو كان الأمر كنظريتهم بأن يقول كل واحد من الشعراء و الأدباء مايشاء ، و لا يلتزم أيّ قانون مخلٍّ بالفن ، فلماذا أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمَ كعب بن زهير ، و لماذا عفا عنه حينما ندم و تاب ، وألقي قصيدة بانت سعاد ، و لما ذا هدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة و كاد يقطع لسانه ، ثم لماذا قال ابن الأنباري عن أبي نواس : شعر هذا الخليع أحق أن لا يتلقاه الناس بألسنتهم و لا يدوّنوه في كتبهم

و قال العياض عن المعري و ابن هانئ الأندلسي "قد خرج كثير من كلامهما حد الاستخفاف و النَقص و صريح الكفر " (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج : ٢ ص: ٢٤٠) .

حتي كان في زمن الجاهلية أيضا ، فاشتهر إمرئ القيس بلقب الضليل لما يعلن في شعره من الفسق .

والأعجب ، أنهم يصنفون الأدب الفاسق مرة إلي الوجودية و مرة ثانية إلي الواقعية و غيرهما ، ولا يقولون إنه تقيسم الأمة و تفرقة الثقافة العالمية ، فقط يُري لهم هذا في الإسلام و أدبه .

الشبهة الخامسة :

أن يكون للأديب أفقا واسعا ، ولا يكون مجاله ضيّقا ، و في الأدب الإسلامي يوجد هذا الحصر و الضيق، لأنه أدب ملتزم ، و له حدود معيّنة ، لا يمكن للأديب أن يتجاوز هذه الحدود ، ولا يستطيع أن يفنّن و يعبّرَ عن خياله حسب ما يريد و يشاء ، لأنه محصور و مقيّد في ساحة الأدب الإسلامي ، و لأن فيه إهمال الفن و الإبداع ، ولا

و من قبل الوجودية،إنكار وجود الله الخالق،حتي قال سارتر : إذا لم تقتل إلها في داخلك لم تكن وجوديًّا.
و جاءت بأفكار الحرية عن الدين و التقاليد و هي مرفوضة في التصور الإسلامي .
و من قبل الحداثة أيضا أفكار الحرية ، و رفض لكل القديم .

و الله المستعان

المصادر والمراجع:

1- دكتور وليد قصاب، كتابه "المذاهب الأدبية الغربية".
2- الأستاذ محمد سيد قطب، كتابه "منهج الفني الإسلامي".
3- القاضي عياض, كتابه " الشفاء بتعريف حقوق المصطفى".
4- دكتور وليد قصاب، كتابه "المذاهب الأدبية الغربية".

IJOMRC